بسم الله الرحمن الرحيم

اتَّقُوا اللَّهَ

خُطبة مفرَّغة لفضيلة الشيخ:

عبد السَّلام بن برجس آل عبد الكريم

-رحمه الله تعالى، وطَيَّبَ ثراه-

أعدَّ هذهِ المادَّة: محمَّد عِماد نوفَل

www.daawah.net

[الْخُطْبَةُ الْأُولَى:]

[إن الحمد لله؛ نحمده] ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أن لا إله إلا الله -وحده لا شريك له-، وأشهدُ أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعدُ -عبادَ الله!-:

اتقوا الله -جَلَّ وَعَلاَ- حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوُثقى؛ فإن تقوى الله -جَلَّ وَعَلاَ- ما جاورت قلب امرئ إلا أخرج الْمُنَى؛ فهي وصية الله للأولين والآخرين، كما قال -تَعَالَى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ﴾[النساء: ١٣١].

عبادَ الله! إن الله ﷻ خلق الخلق لأمرٍ عظيم، وَهَيَّأَهُمْ لِخَطْبٍ جسيم، خلقهم ﷻ لا ليستكثرَ بهم من قِلَّة، ولا ليستقويَ بهم من ضعف؛ وإنَّما ليعبدوه ﷻ، وَلِيُوَحِّدُوهُ وَلِيُفْرِدُوهُ بكُلِّ أنواع العبادة التي يُحِبُّها الله ويرضاها -قولاً، وفعلاً، واعتقاداً-، قال الله -جَلَّ وَعَلاَ-: ﴿وما وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٦-٥٨].

ولأهمية هذا الأمر وَعِظَمِه عنده ﷻ؛ أرسل رُسُلَهُ، وأنزل كُتُبَهُ فيه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[النحل: ٣٦].

ولقد كان الناس -أيها المسلمون!- أوَّل الأمر على الْمُعْتَقَد الصحيح والفطرةِ المستقيمة لا يعبدون إلا الله ﷻ، ثُمَّ دَبَّ إليهم داءُ الإشراك به، فأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب؛ لِمحاربة هذا الشرك، ولتصحيح عقائد الناس، كما قال الله ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: في الْمُعْتَقَد، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[البقرة: ٢١٣]، مبشرين مَن انتدب التوحيد

بدخول الجنة، منذرين مَن انحرف عن هذا التوحيد بنار ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

يقول ابنُ عباسٍ –في تفسير هذه الآية-: «لَمَّا مات آدم عليه السلام بَقِيَ بَنُوهُ على عقيدة التوحيد عشرة قرون، ثُمَّ دَبَّ إليهم الشرك»، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم نوحاً عليه السلام؛ لِيُصَحِّحَ معتقدهم، وليزيل الشبهات التي لصقت بأذهانهم في قضية إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، فكان من أمره ما قَصَّ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابه، ثم بعد حين فشا الشرك وانتشر كما كان سابقاً، فأرسل الله سبحانه وتعالى رُسُلاً للقضاءِ عليه.

منهم إبراهيم عليه السلام إمامُ الحنفاء، وحينما أرسله الله عز وجل بدعوة التوحيد لَمْ يكن يومئذ على ظهر الأرض مسلم، ودعا إلى التوحيد –صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ– وَبَيَّنَهُ وَقَرَّرَهُ، ومنذُ دعوة إبراهيم عليه السلام إلى قيام نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم والتوحيدُ باقٍ لَمْ ينقطع، كما قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمةَ الإخلاص ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي: في عَقِبِ إبراهيمَ عليه السلام، فكان بنوه وبنوهم يعبدون الله سبحانه وتعالى ويفردونه بأنواع العبادة.

إلى أن جاء آخرُ الزمان، فخرج فيهم رجل يقال له: عمرو بن لُحَي، وكان أول مَنْ غَيَّرَ دينَ إبراهيمَ عليه السلام، وجلب الأصنام إلى العرب، وكان من أمره أنه كان صالحاً عابداً، فَعَظَّمَهُ الناسُ واغْتَرُّوا به، فرحل إلى الشام، فوجد أهلها يعبدون الأوثان، فَقَدِمَ معه بـ«هُبَل»، ووضعه في جوف الكعبة، ودعا قريشاً إلى عبادته، فاستجابت له، ثم استجاب لقريش سائر العرب.

فَلَمَّا فشا الشرك وانتشر وَعَظُمَ الأمر واشتد خطرُه بعث الله مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ– في حين فَتْرَة من الرسل، بعثه الله سبحانه وتعالى مِنَّةً على هذه الأمة ورحمةً بهم؛ لِيُخْرِجَهُمْ من الظلمات إلى النور، كما قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران: ١٦٤]، بعثه الله سبحانه وتعالى بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، كما قال –جَلَّ وَعَلا-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر: ١-٥] أي: قم –يا مُحَمَّد!– داعياً إلى التوحيد ناهياً عن الشرك، وَكَبِّر رَبَّكَ سبحانه وتعالى وَعَظِّمْهُ بتحكيم التوحيد، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ أي: اهجر الأصنام وانبذها واهجر أهلها؛ فإنهم مشركون يستحقون الْمُفَاصَلَةَ وَالْمُبَايَنَةَ، فكان منه –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– أن دعا إلى هذا الأمر وَقَرَّرَهُ وَوَضَّحَهُ أوضحَ بيانٍ وأكملَ بيان.

ثم أكمل الله سبحانه وتعالى به الدِّين، وأتم الله عز وجل عليه النعمة، وكان من إكمال الدِّين له –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– أن بَيَّنَ لنا كُلَّ أمرٍ يكون إلى قيام الساعة؛ لنأخذ الخير، ونجتنب الشر.

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائرٌ يقلب جناحيه في الجو إلا ترك لنا منه علماً»، وثبت عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صَعِدَ المنبر وخطبهم خُطبة لم يترك شيئاً إلى قيام الساعة إلا وَبَيَّنَهُ لَهُمْ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-، وثبت عنه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- أنه قال: «مَا مِنْ خَيْرٍ يُقَرِّبُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ، وَمَا مِنْ شَرٍّ يُقَرِّبُ إِلَى النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ»، فتوفي -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- وهو تاركٌ لنا على الْمَحَجَّة البيضاء لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغ عنها إلا هالك.

وكان مما أخبرنا به -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- وأطلعنا عليه: أن الشرك سوف يفشو في هذه الأمة وينتشرُ انتشاراً عظيماً؛ ففي «الصحيحين» أنَّ النبيَّ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ»، وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى».

ومن هنا يَجِبُ على المسلم أن يَحْذَرَ أشدَّ الحذر من الإشراك بالله سبحانه وتعالى، وأن يجعل نَصْبَ عينيه الخوف والقلق من هذا الشرك؛ لأنه أعظم جَرِيمَة يعصى الله سبحانه وتعالى بها.

وإن ممَّا يُعاب على الناس جميعاً -أو يُعابُ على أكثر الناس- في هذه الأزمان: أنهم أَمِنُوا وُقُوعَ أَنْفُسِهِمْ في الإشراك بالله سبحانه وتعالى؛ فبعضهم يظن توحيده كاملاً، وهذا التوحيد سوف يمنعه من الإشراك بالله سبحانه وتعالى، فلا يُولي الشرك بالله سبحانه وتعالى اهتماماً، وبعضهم جاهلٌ لا يَعْرِفُ خطورةَ الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

وإن ممَّا يُولِجُ الشرك على الأمة الإسلامية: الأَمْنَ من الوقوع في الشرك، ولذلك؛ يقول الحسن البصري رحمه الله -في النفاق-: «ما أَمِنَهُ إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن»، ويقول ابن أبي مُلَيْكَة -في النفاق أيضاً-: «أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبيِّ ﷺ كُلُّهُمْ يَخافُ النفاقَ على نَفْسه».

ومن هنا كَمُلَ إيمان الصحابة، وَتَمَّ وعلا وارتفع وصعد إلى الله سبحانه وتعالى مَقْبُولاً؛ لأنهم خَشُوا من الوقوع في هذا الأمر الخطير، وَقَرَّرُوا في أنفسهم أن وقوعهم ووقوع أمثالهم ليس بعيداً في مثل هذه الأمور، فأوجب لهم ذلك الحذر والخوف من الوقوع فيها.

أيها المسلمون! إن إبراهيمَ إمامَ الحنفاء الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بصفات جليلة عظيمة؛ فقال عز وجل فيه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾[النجم: ٣٧]، وجعله الله عز وجل إماماً للناس، وأمر نبيَّه محمداً ﷺ أن يَتَّبِعَ مِلَّتَهُ الحنيفية، وأخبر الله عز وجل أن إبراهيمَ أُمَّةٌ لِوَحْدِه، وهو الذي كَسَّرَ الأصنامَ بيده، إنَّ إبراهيم الذي هذه بعض فضائله يقول داعياً ربه سبحانه وتعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، ففي هذا الدعاء لَفْتُ نَظَرٍ لِكُلِّ مَنْ كان في قلبه خَوْفٌ من الله سبحانه وتعالى ورجاءٌ لِما عنده من ثواب الْمُوَحِّدِينَ، في هذا الدعاء

لفتة نظر إلى هؤلاء الناس ليحذروا من الشرك كُلَّ الحذر؛ فإن إمام الحنفاء يخشاه على نفسه، فما بالُك بِمَنْ دونه من الأولياء والصالحين؟! بل ما بالك بِمَنْ دونهم من العامة أو طلبة العلم أو العلماء؟!!

لا شَكَّ أن وجوب الحذر على هؤلاء أولى وأحوط، ولذلك؛ يقول إبراهيم التَّيْمِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَمَنْ يأمنُ البلاءَ بعدَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!!!».

أيها المسلمون! إننا في هذا الزمن بحاجة ماسَّة إلى تعلم التوحيد، وإلى الاطِّلاع على مسائل الشرك ووسائل الشرك؛ لأن الابتعاد عنه إنَّما يَكْمُنُ في مَعْرِفَتِهِ والإحاطةِ به، ولذلك؛ يقول حذيفة: «كان الناسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَني».

عَرَفْتُ الشَّرَّ لاَ لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِيهِ   مَنْ لاَ يَعْرِفِ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ يَقَعْ فِيهِ

وفي هذه الأزمان تخرجُ دعوات وَتَجْهَرُ أصوات من عدم الاهتمام بالتوحيد، أو بتقليل شأن التوحيد مِن أَنْفُسِ الناس، وذلك عن طريق شعارات بَرَّاقَة يَحْسَبُها الظمآن ماء، فيقولون: «إن الزمن زمن اعتناء بأحوال المسلمين، المسلمون يُقَتَّلُونَ يميناً وشمالاً وأنتم تَهْتَمُّونَ بمسائل العقيدة، تهتمون بمسائل التوحيد، تُحَذِّرُونَ من الشرك بالله ﷻ، ليس هذا أوانُهُ، إنما هو أوانُ الوحدة الكاملة للمسلمين عموماً دون التفريق بينهم»، وهذا الخطأ -وإن كان قَائِلُهُ قد يكون مُرِيداً للحق- هو خطأ مَحْضٌ وباطلٌ مُبِين، يَجِبُ على المسلمين أن ينتبهوا له وأن يحذروا منه أشد الحذر؛ فإن أمور التوحيد هي أَهَمُّ الأمور وَأَجَلُّهَا، ولذا؛ فإن رسولَنا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مكث يدعو إلى الله ﷻ ثلاثاً وعشرين سنة، منها ثلاثةَ عشرة سنة في مكة منها عشر سنين يُقَرِّرُ لا إله إلا الله، ويدعو إلى لا إله إلا الله، وَيُبَيِّنُ معنى لا إله إلا الله، ففي هذا توجيهٌ كريم إلى الدعاة توجيه إليهم إلى أن الاهتمامَ بالعقيدة أَمْرٌ مُهِمٌّ ضَرُورِيٌّ.

وذلك؛ لأن الناس إذا صَلُحَتْ عقائدُهم أَمِنُوا الدخول في جَنَّةِ الله ﷻ مهما كَثُرَتْ ذنوبُهُمْ ومعاصيهم، وأما إذا كان التوحيد مُخْتَلًّا فَإِنَّ صاحِبَهُ على خطر عظيم وعلى ضلال كبير مبين.

فالداعي إلى الله ﷻ الذي يُرِيدُ حقاً إصلاح الأمة ويريد حقاً أو يقصد حقاً الشفقة على المسلمين يعتني بتصحيح عقائدهم وبسلامة توحيدهم، كما كان النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يفعل.

فاللهَ اللهَ -أيها المسلمونَ!- في تصحيح العقائد، وفي معرفة الشرك ووسائله؛ لتحذروه كُلَّ الحذر.

وَتَبْيِينُ التوحيد وتبيين الشرك إنما يكون بقراءة كتب أهل العلم الذين وَضَّحُوا هذا الأمرَ وَبَيَّنُوهُ بياناً شافياً كافياً، وكان عندنا العامَّةُ قَبْلَ خمسين سنة أو أكثر يحفظون -وهم لا يَقرؤون ولا يكتبون- كثيراً من كُتُبِ شيخ الإسلام مُحَمَّد بنِ عبدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ الْمُخْتَصَرات، يَحفظونها عن ظهر قلب، ممَّا كان له أثر بارز في حفظ معتقدهم وسلامة مناهجهم وَخُلُوِّهِمْ من الإشراك والبدع، و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١، الجمعة: ٤]، فبالعلم يستطيع المسلم أن يتغلب على

الجهل، وبالعلم يستطيع المسلم أن يَحْمِيَ عقيدَتَه من أن تتدنس بأوحال الشرك وتتلطخ بأوحال البدع التي هي أَعْظَمُ جُرْمًا من المعاصي لله ﷻ.

فعلى العامة -فَضْلاً عن طلبة العلم- أن يحفظوا «الأصول الثلاثة» -مثلاً- للشيخ مُحَمَّد، وأن يحفظوا «كَشف الشبهات» له، و«كتاب التوحيد» له؛ فإن هذه الكتب الثلاثة كَفِيلَةٌ لِمَنْ تَعَلَّمَها وفهمها كَفِيلَةٌ بأن تحفظ معتقده وأن تجعله سالماً من الإشراك بالله ﷻ، والوصيةُ بهذه الكتب لا لذاتها ولا لِمُؤَلِّفِها؛ وإنما لما قامت عليه من النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، ولما قامت عليه من الفهم الصحيح السليم لِهذين الأصلين العظيمين -كتابِ الله، وَسُنَّةِ رسوله محمد ﷺ-.

ولا ينخدعن المسلم بشعارات بَرَّاقَة تدعو إلى الأخوة بِمَعْزَلٍ عن العقيدة والتوحيد؛ فإن هذه الدعوة ليست دعوةَ السلف -رَحْمَةُ الله -تَبَارَكَ وتَعَالَى- عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، ولو أن السلف دَعَوا إلى الله ﷻ بِمِثْلِ هذه الدعوات العامة -الدعوةِ إلى الإسلام عموماً، فَكُلُّ من انْضَمَّ تحت راية الإسلام فهو وَلِيٌّ لنا- لو أن السلف دَعَوا إلى ذلك لما رَدُّوا على المبتدعة -من الجهمية، والخوارج، والمعتزلة، والصوفية، ونحو ذلك-.

فعلى المسلم أن يتحصن بهذه الْمَعالِمِ التي سار عليها سلفُنا الصالح -رَضِيَ اللهُ -تبارك وتَعَالَى- عَنْهُمْ-، وأن يجعلَ منهم قُدْوَةً له يَسيرُ خلفهم؛ فإنهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَعَنْ عِلْمٍ نَطَقُوا -رَضِيَ اللهُ -تَبَارَكَ وتَعَالَى- عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ إنه غفور رحيم.

[الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:]

الْحَمْدُ لله على إحسانه، والشُّكْرُ لَهُ على تَوْفيقه وامْتِنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله -وحده لا شريك له- تعظيماً لشانه، وأشهد أن نبيَّنا وَسَيِّدَنا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا-.

أما بعد -أيها المسلمون!-:

إن لتحقيق التوحيد فضلاً عظيماً وأجراً كبيراً ديناً ودنيا يَعُودُ على الفرد والْمُجْتَمَعِ...

من ذلك: أن تحقيق التوحيد وتخليصه وتنقيته يُكْسِبُ الأُمَّةَ أماناً واطمئناناً، كما قال الله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[الأنعام: ٨٢]، والظلم في هذه الآية هو الشِّرْكُ -كما فَسَّرَهُ النبي ﷺ في حديث عبد الله بن مسعود-.

الأمن التامُّ في الدنيا والآخرة مرتبط ارتباطاً وَثيقاً بتحقيق التوحيد وتنقية الأعمال من الإشراك بالله ﷻ، فإذا وقع على العباد فتنة وَبَلِيَّة وابتلوا بِحَرْبٍ وَهَرْجٍ وَمَرْجٍ فإنَّما ذلك بسبب الإخلال بالتوحيد، وسببِ فُشُوِّ شيءٍ من الشرك أو البدع أو المعاصي التي تُنْقِصُ دوام التوحيد.

ومن فضائل التوحيد: أن صاحبه يدخل الجنة لا محالة مَهْمَا كثرت ذنوبه ومعاصيه، ولا يَخفى على كثير منا حديثُ صاحبِ البطاقة، الذي جاء ببطاقة فيها شهادةُ التوحيد «لا إله إلا الله»، وَأُخْرِجَ لَهُ سبعةٌ وسبعون سجلًّا مَمْلُوءَةً بالمعاصي والذنوب، فلما رآها انبهر وفرق، فقال الله ﷻ: «**إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ الْيَوْمَ شَيْئاً**»، فَأُخْرِجَتْ هذه البطاقة فَوُضِعَتْ في كِفَّة، ووضعت سجلاته في كفة، فطاشت السجلات وتلاشت أمام التوحيد.

ومن فضائل التوحيد: أن أصحابه هُمْ أَحَقُّ الناس بشفاعة المصطفى ﷺ، كما ثبت في حديث أبي هريرة ﵁: «**أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ**».

ففضائل التوحيد -أيها الأحبة!- كثيرة لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، توجب على المسلم أن يعتني به، وأن يَهْتَمَّ به.

ولنضرب مثلاً من الأمور التي تُخَالِفُ التوحيد، وهي من الأمور الشركية شركاً أصغر؛ لأن الشرك ينقسم إلى قسمين: إلى أكبر قال الله ﷻ فيه: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال الله ﷻ فيه: ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾[المائدة: ٧٢]، وهذا كدعاء غير الله، وكالاستغاثة بغير الله فيما لا يَقْدِرُ عليه إلا الله.

أما الشرك الأصغر؛ وهو ما دون ذلك، وهو الذي لا يَخْرُجُ صَاحِبُهُ مِنَ الْمِلَّةِ الإسلامية، ولكنه على خطر عظيم، وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلا أنه لا بُدَّ أن يَدْخُلَ النار، وأن يُمَحَّصَ بها، ثم يدخل الجنة، فهو يخالف أَهْلَ الكبائر هنا؛ فأهلُ الكبائر إلى الله، فإن شاء الله ﷻ عفا عنهم، وإن شاء ﷻ عذبهم، أما صاحب الشرك الأصغر فقد ذهب جماعة من أهل العلم -وهو قَوْلٌ قَوِيٌّ- إلى أنهم لا بد أن يدخلوا النار، لكنهم لا يُخَلَّدُونَ فيها، وبذلك يخالفون أهل الشرك الأكبر، ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام في بعض أقواله.

ومن أمثال هذا الشرك: ما جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﵁، وهو أنه دخل على امرأته ذات يوم، فوجدها قد وضعت في عُنُقِهَا خَيْطاً، فقال لها: «ما هذا؟!»، قالت: «هذا خيط رُقِيَ لي فيه»، فغضب عبدُ الله وقال: «إِنَّ آلَ عبدِ الله لأغنياء عن الشِّرك، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الرُّقَى**

وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»»، فقالت: «إن عيني تَقْذفُ؛ فأختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاها بَرِئت»، فقال لها: «إِنَّما ذلك شيطانٌ يَنْخَسُهَا حتى تقذفَ، فإذا رَقَيْتِ عنده -أي: عند اليهودي- كَفَّ الشيطان»، ففي هذا الحديث أن الرقى والتمائم والتولة شرك.

والرقى هي الرقى الشركية التي تشتمل على دعاء غير الله ﷻ، والاستعانة بِمَنْ سواه، كدعاء الجن، ودعاء الصالحين، ودعاء الأموات عموماً، ودعاء الملائكة، ودعاء الأنبياء، ونحو ذلك، وهذا الدعاء شركٌ أكبر، فالرقى الشركية إذا اشتملت على هذا الدعاء؛ فَإِنَّ القائلَ بهذه الرقية الْمُتَلَفِّظَ بها مشرك شركاً أكبر؛ لأنه تَلَفَّظَ بالكفر.

فالرقى الشركية؛ هي: ما اشتملت على الإشراك بالله ﷯، فإنْ كان شركاً أكبر فصاحبها خارج مِنَ الْمِلَّة، وإن كان شركاً أصغر فصاحبها لا يخرج من الملة.

أما الرقى التي تكون مشتملة على الأدعية النبوية والأذكار النبوية فهذه لا شيءَ فيها، ولذلك؛ لما عَرَضَ الصحابةُ ﭫ على رسول الله ﷺ أَمْرَهُمْ عندما كانوا يسترقون في الجاهلية، فقال: «لاَ بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكاً».

والرقية الشرعية هي ما اشتملت على أمور:

الأمر الأول: أن تكون بكلام الله ﷻ، أو بأسمائه، أو بصفاته.

والأمر الثاني: أن تكون باللسان العربي؛ لكي يُفْهَمَ معناها، وإذا فُهِمَ معناها استطاعَ الفاهمُ أن يميز هل هذا شرك أم ليس شركاً.

والأمر الثالث: أن لا يُعْتَقَدَ التأثيرُ فيها بذاتِها، وإنما تُؤَثِّرُ بِقُوَّةِ الله ﷻ وَبِأَمْرِهِ ﷯.

فهذه هي الرقى.

أما التَّمَائِمُ فهي معروفة مشهورة، وهي شركية، إلا ما كان منها من القرآن؛ فَإِنَّهُ بِدْعَةٌ مُنْكَرَةٌ، لا يجوز لمسلم أن يفعلها، والتمائم هي: شيء يكتبونه من الأذكار الشرعية، وَيَلُفُّونَهُ في جِلْدٍ، وَيَضَعُونَهُ على صدورهم أو في ثيابِهم أو نحو ذلك، يزعمون أنه يَقِي من العين، وأكثر ما يُفْعَلُ ذلك مع الصبيان، فهذه التمائم شِرْكٌ؛ لأن القلب يَتَعَلَّقُ بها من دون الله ﷻ، وإذا تعلق بها القلب فقد أشرك مَعَ الله ﷻ غيرَه، لكن -كما قلنا- إن كانت هذه التمائم من القرآن فإنها بدعة لا يجوز للمسلم أن يضعها وليست شركاً، كما قال إبراهيم النخعي ﵀: «كانوا -أي: أصحابَ عبد الله بن مسعود- يَكْرَهُونَ التمائم من القرآن ومن غيرِها».

أما التِّوَلَةُ؛ فهي التي اشتهرت الآن وانتشرت بين النساء، يَزْعُمُونَ أن هذه التولة تُحَبِّبُ المرأة إلى زوجها وَتُحَبِّبُ الزوج إلى امرأته، وهي ما يُسَمَّى بالصَّرْفِ وَالْعَطْفِ ونحو ذلك، وهذا إنَّما يؤخذ عن السَّحَرَةِ وَالْكُهَّان والْمُنَجِّمِينَ الذين ورد ذَمُّهُمْ في الشرع وَحَذَّرَنَا منهم النبيُّ ﷺ، فقال فيما ثبت عنه: «مَنْ أَتَى كَاهِنَاً أَوْ عَرَّافَاً فَسَأَلَهُ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

فهذه أمثلة -أيها الأحبة!- للشرك الأكبر والشرك الأصغر تَدُلُّ على ما وراءها؛ فعلى المسلم أن يكون جاهداً في معرفة ذلك، حَرِيصاً على الإِلْمَامِ به، ولو كان عاميًّا، ولو كان عاديًّا ونحو ذلك.

نسألُ الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وأن يَحْفَظَ علينا عقيدَتنا وتوحيدَنا مِنْ كُلِّ شائبة، من شائبة المعاصي والبدع والكفر والفجور؛ إنه وَلِيُّ ذلك والقادر عليه، وبالله التوفيق.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.(١)

(١) انتهيتُ مِن إعداد هذه المادة يوم الثلاثاء ١٤٢٨/٦/١٩هـ - ٢٠٠٧/٧/٣م، والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات.